Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة".[1] والواضح من تعريف القزوينى للبديع أنه يقصد أنّ الكلام متى تحقق فيه البديع، فقد تحققت فيه البلاغة كل البلاغة، لأن البديع لا يعتد به ما لم يتحقق شرطا المطابقة، ووضوح الدلالة، على معنى أن التحسين الذى قصده القزوينى يكون تحسيناً ذاتيًا أساسيًا فى علاقته بالمعنى لاعرضياً طارئًا متكلّفا كما تذهب بعض التصورات. وذلك هو المضمون نفسه الذى قصده السكاكى؛ فحين نزع إلى تبيين الخواص التى تعرض للتراكيب فتكسو الكلام حسنًا ذاتيًا، نَدَّ عن ذلك الغرض بعض الأمور المدرجة تحت اسم علم البديع، فكان لزامًا أن يفردها بالذكر بعد الانتهاء من علمى "البيان" و"المعانى"، ولا أحسبه قاصدًا بوظيفتها سوى التحسينى الذاتى المرتبط بالمعنى لا العرضى المستجلب لخلق الإيقاعية فحسب. قال السكاكى بعد ما تناول علمى البيان والمعانى: "وإذا قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأنّ الفصاحة بنوعيها؛ مما يكسو الكلام حلّة التزيين ويرقيه إلى أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرًا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهى قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ".[2] ولقد راح أتباع القزوينى وأنصاره يلوون تعريفه للبديع عن قصده وقصد السكاكى من التحسين، وأخضعوه لنظرتهم للبديع على أنه توشية وزينة طارئة، وهذا ما دعا بعض الباحثين إلى تحميل القزوينى مسئوليّة تذييل البديع وتهميش دوره.

وربما كان عدّ السجع محسنًا لفظيًا عرضيا أمرًا مشرّعًا من قِبَل نظرة فلسفية إلى اللفظ عمومًا تتمثل فى اعتباره طينيّاً متهافتًا.[3] ومع ذلك فإننا نعثر

---

(١) الإيضاح فى علوم البلاغة، القزوينى، جـ٢، ص ٤٧٧.

(٢) مفتاح العلوم، السكاكى، ص ٤٢٣.

(٣) وقد عبر أبو حيان التوحيدى عن مذهب أستاذه أبى سليمان طاهر بن بهرام السجستانى فى هذا الموضوع فقال: "إنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعى والمعنى عقلى، ولهذا كان اللفظ بائدًا على الزمان لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان لأن مستملى المعنى عقل، والعقل إلهى، ومادة اللفظ طينيّة، وكل طينى متهافت". الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدى، صححه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزينى، دار مكتبة الحياة، بيروت، جـ١، د. ت، ص ١١٥.